INDONESIAN JOURNAL
of Islamic Literature and Muslim Society
Vol. 5, No. 1, January-June 2020, ISSN: 2528-1194 (p); 2528-1224

JUHŪD AL-ASYĀ'IRAH AL-MUĀṢRĪN FĪ AL-TAQRĪB BAYN AL-AFKĀR AL-SUNNIYYAH: AL-SYAIKH ḤASAN AL- SYĀFI'Ī NAMŪŻAJAN

Nabil Fouly Mohamed
Fatih Sultan Mehmet Vakif University, Istanbul
Email: nfmmongy@fsm.edu.tr

Abstract

The article aims to describe Hasan al-Shafi'i's view of uniting Sunnis theologically as an applied model. Through historical-philosophical analysis, this article found that Hasan al-Shafi'i viewed the need to unite Sunni viewpoints in the contemporary era. With his background in communication with the Islamic world and the West, Hasan al-Shafi'i confirmed the importance of understanding *I'tidāl* from al-Asy'ari theology. This theology rests on the spirit of harmony and tolerance, assuming that diversity is fairness and that plural life is the foundation of life that must be maintained. This view implies the restoration of theological relations between Sunni groups. Such a converged approach can serve as a model that is methodologically expected to enhance rapprochement on and off the Sunni spectrum.

Keywords: Theology, Sunni, Harmonization

Abstrak

Artikel ini bertujuan untuk mendeskripsikan pandangan Hasan al-Syafi'i dalam menyatukan kaum Sunni secara teologis sebagai sebuah model terapan. Melalui analisis historis-filosofis, artikel ini menemukan bahwa Hasan al-Syafi'i memandang perlunya menyatukan sudut pandang Sunni di era kontemporer. Dengan latar

belakang kehidupannya yang banyak berkomunikasi dengan dunia Islam dan Barat, Hasan al-Syafi'i meneguhkan pentingnya paham *I'tidāl* dari teologi al-Asy'ari. Teologi ini bertumpu pada semangat harmoni dan toleransi, dengan asumsi bahwa keragaman adalah suatu kewajaran dan bahwa kehidupan plural adalah fondasi hidup yang harus dipelihara. Pandangan ini berimplikasi pada pemulihan hubungan teologis di antara kelompok Sunni. Pendekatan konvergensi seperti ini dapat dijadikan model yang secara metodologis diharapkan dapat meningkatkan pemulihan hubungan di dalam dan di luar spektrum Sunni.

Kata Kunci: Teologi, Sunni, Harmonisasi

مقدمة

فإن لفرقة الأشاعرة منزلة مهمة في التاريخ العلمي والفكري للأمة الإسلامية وفي واقعها القائم؛ ليس فقط لانتماء جمهرة كبيرة من العلماء والمفكرين قديما وحديثا إليها، ولكن أيضًا بما مثلوه طوال قرون من الزمان من تكتل علمي كبير ومتجانس في العالم الإسلامي، وهو أمر له أهميته في حفظ البنيان الثقافي والاجتماعي للأمة.

ومع أني أميل في مواقفي العقدية – بعد الاستناد إلى نصوص الوحيين الشريفين – إلى الانتقاء أو "الترجيح العقدي" بين آراء علمائنا فيما تعددت فيه آراؤهم، ولا أتبع في هذا فريقا واحدا منهم دون غيره، إلا أن للأشاعرة موضعا متميزا وسط هذا الانتقاء؛ نظرا لتوسعهم في التأليف، وطرْقهم كل مسألة في تراثنا تقريبا، وامتدادهم الزماني بحيث كان المتأخر منهم كثيرا ما يتعقب المتقدم، والموافق لهم يناقش المخالف، وبحيث عايشوا التطورات الثقافية والتاريخية التي مر بها المسلمون طوال القرون الأحد عشر الأخيرة، وهي تاريخ الفرقة بعد إمامها الأول أبي الحسن الأشعري رحمه الله.

وقد حباني الله نعمة الدرس والإشراف العلمي على يد أحد أعلام الأشاعرة المعاصرين، وهو شيخنا المتكلم الأصولي اللغوي الشاعر المربي الأستاذ الدكتور حسن الشافعي (حفظه الله) الذي درست عليه في كلية دار العلوم التصوف في مرحلة الليسانس، واللاهوت المسيحي باللغة الإنجليزية في مرحلة الماجستير، ثم أشرف عليّ في رسالتي للماجستير في موضوع «منطق الموجهات عند المسلمين»، وكان هو اقترحه علي ورشحه لي أصلا. ثم ناقشني في رسالتي للدكتوراه حول «المقولات العشر في الفكر الفلسفي الإسلامي حتى القرن السادس الهجري»، وكنت عرضت عليه الموضوع قبل تسجيله منبها إلى أن الدكتور سامي لطف (رحمه

الله) درس المقولة الأهم في بحثه للدكتوراه دراسة متقنة، وهي مقولة الجوهر، فقال لي شيخنا الحسن ساعتَها: لكن بقيت تسع مقولات أخرى! مما حدا بي أن أركز في دراستي المذكورة على نظرية المقولات[1].

ولم تتوقف حدود علاقتي بالشيخ عند هذا، فرشحني للتدريس في الجامعة الإسلامية العالمية التي رأسها ست سنوات (من عام 2004-1998)، وكان قبلها كلما لقيني في القاهرة في إجازاته الصيفية أو زياراته المَجْمعيّة يستعجلني في إتمام رسالة الدكتوراه؛ لحاجة الجامعة إلى متخصص يدرّس مادة المنطق - كما كان يشير في بعض عباراته المقتضبة على عادته في الحديث[2].

وعقب الحصول على الدكتوراه كان أول بحث محكَّم كتبته هو «الحياد البحثي.. تطبيقات على الكتابات العلمية الدكتور حسن الشافعي»، كما أن أول كتاب حققته، وهو نفسه أول كتاب طبعته «مختصر تفسير معاني ألفاظ أرسطوطاليس في كتاب المقولات للوهبي» أهديته إلى «شيخي الأكبر الأستاذ الدكتور حسن الشافعي معلما ومربيا»، الذي وكلت إلى ربي سبحانه من قديم جزاءه، فما نحن بالمطيقي رد جميل مثله.

ولست هنا في مجال تقريظ الشيخ أو ذكر مناقبه الكثيرة؛ لذا سأنتقل إلى بيان عناصر هذه الدراسة التي تقدم من أفكار الشيخ نموذجا لجهود الأشاعرة المعاصرين في التقريب بين الأفكار السنية؛ وذلك في المباحث التالية:

١. التكوين العلمي والفكري لحسن الشافعي.
٢. جهوده في خدمة علم الكلام والمذهب الأشعري.
٣. حدود مصطلح أهل السنة عند الشيخ.
٤. فكرة التقريب بين أهل السنة وتطبيقاتها عند الشيخ.

---

[1] - تشكلت لجنة مناقشة رسالتي للدكتوراه من مشرفها الراحل الدكتور عبد اللطيف العبد رحمه الله، ومن مناقشها الداخلي شيخي الجليل الدكتور حسن الشافعي الذي قرأ قدرا كبيرا منها قبل المناقشة أصلا، وكان حينها رئيسا للجامعة الإسلامية العالمية، والأستاذ الدكتور ماهر عبد القادر أستاذ المنطق وعميد كلية السياحة بالإسكندرية حينها! وتمت المناقشة بتاريخ 30/ مارس 2004م.

[2] - أشار الشيخ إلى تتلمذتي عليه قائلا عني إنه "درس معي بعضا من إشكالات علم المنطق على مستوى كل من الماجستير والدكتوراه" حسن الشافعي: حياتي في حكاياتي ص 370، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي - تونس 1436هـ/ 2015م.

١. التكوين العلمي والفكري لحسن الشافعي

يُعتبر الدكتور حسن الشافعي نموذجا من نماذج التلاقح الفكري بين الثقافة الإسلامية بتراثها العتيق الأصيل والثقافة الغربية الحديثة التي تمثل نموذجا لسعي الإنسان في الأرض محاولا الاستناد إلى جهده وأفكاره الخاصة لصناعة الفكر والحضارة وبناء الأمجاد المادية.

وقد أتته الثقافة الإسلامية من البيئة التي نشأ فيها، فترعرع في ظل والد أزهري معمم يعمل في تدريس العلوم[3]، وفي ظلال معلمين ملكوا ناصية العلم مع خلق رفيع؛ سواء أكان حديثنا عن دراسته في المرحلة الجامعية أم مراحل الدراسة السابقة عليها، وسواء أتحدثنا عن دراسته في الأزهر أم في دار العلوم. وقد قام هذا على عمادين اثنين هما:

الأول: مناهج دراسية متينة: فقد درس الشيخ مناهج الأزهر القديمة قبل أن يمسها التغيير الضار، ويبدل التطوير السلبي شخصيتها[4]، وهو ما لمسه بنفسه وعبر عنه عند فوزه برئاسة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 2012م قائلا: «إني أعتبر الدراسة الأزهرية التأسيسية هي ذات الفضل في تأهلي لهذا المنصب»[5]، ولا زال الشيخ يؤكد في دروسه المختلفة على ضرورة التأسيس العلمي للطالب والباحث في العلوم الإسلامية وفقا للطريقة الأزهرية القديمة[6] المعتمدة على قراءة المتون وتحليل نصوصها وبيان معانيها وما فيها من نحو وصرف ومقاصد علمية.

الثاني: المعلمون ذوو الكفاية في مراحل الدراسة المختلفة وفي التخصصات العلمية اللغوية والشرعية بأنواعها، وقد أورد الشيخ في مذكراته التي صاغها في صورة حكايات لمحات تتعلق بأبرز مشايخه تفيد أهل العلم والساعين إلى إصلاح التعليم وتجديده، كما تكشف التأثير المتراكم الذي أحدثه هؤلاء المعلمون في شخصيته، ومن ذلك ما يلي:

١. قال في أحد المواضع: «شيخي الذي أدين له بالتكوين اللغوي الذي أعيش به حتى الآن، مع ما أضيف إليه من الرؤية الدرعمية الراجعة إلى دراسة علم اللغة الحديث والنقد المعاصر، وما تيسر لي فيما بعد من المعرفة بالإنجليزية، هو الشيخ أشهب

[3] - حياتي في حكاياتي ص 215.

[4] - تعرض الأزهر لبعض التطوير الإيجابي في ثلاثينيات القرن الماضي، وهو ما درس د. حسن الشافعي على أساسه دراساته قبل الجامعية، انظر له: في فكرنا الحديث والمعاصر ص 187 وما بعدها، الطبعة الأولى، مكتبة ذخائر الوراقين - القاهرة 1437هـ/ 2016م.

[5] - حياتي في حكاياتي ص 257.

[6] - راجع على شبكة الإنترنت (موقع يوتيوب) دروس الشيخ في شرح «المواقف في علم الكلام» لعضد الدين الإيجي، وسلسلة دروسه في شرح كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة» للراغب الأصفهاني.

القاضي»[7] المعلم بمعهد القاهرة الأزهري. ونلمح هنا شيئا ذا أهمية – غير ما هو معلوم من تأثير المعلم الموهوب في طلابه – وهو أن إتقان لغة واحدة على الأقل حتى الأعماق الغائرة منها، هو شرط من شروط التمكن في العلوم النظرية، ومن شروط السباحة الآمنة والسياحة المطمئنة في عالم الفكر؛ إذ إن هذا الإتقان – عن طريق تعلم قواعد اللغة والخبرة بشعرها ونثرها وتراثها الأرفع – يهب صاحبه إحساسا دقيقا بالمعاني والعبارة عنها، ويتعدى هذا من لغة إلى أخرى إن تعلمها، فيصبح إحساسه الدقيق بالمعاني عاما. وقد وضح هذا كله في شيخنا الذي شغل أكبر منصب للغة العربية في العالم، وهو رئاسة مجمع اللغة العربية بالقاهرة[8].

٢. وقال عن شيخه الجامعي الأول في تخصصه الذي وهبه الكثير من جهده: «ولا أنسى شيخي فضيلة الشيخ محمد السنوسي أستاذي الأول في علم التوحيد بكلية أصول الدين عام 1953، فقد كان بحرا في علم الكلام لا ساحل له. كان رحمه الله يدخل غرفة التدريس فيسند عصاه إلى الحائط في ركن منها، ثم يجلس ولا يرجع إلى متن أو حاشية بين يديه أبدا، فكلها حاضرة أمام عقله، ثابتة بتفاصيل أدلتها ومناقشاتها ونقدها، على دقة المسائل، وعمق الأفكار التي تحتويها، وكثافة اللغة الاصطلاحية التي صيغت بها»[9]. ومع هذا المقام العلمي الرفيع الذي شغله هذا الأستاذ الجليل، فإن تلميذه النجيب لم يذكر له من المؤلفات إلا حواشي غير مطبوعة على شرح العقيدة النسفية في علم الكلام! وهذا في الحقيقة مما يُؤسى له؛ إذ يمر العالم العَلَم والمعلم النحرير بالحياة فيبهر الناس ويأخذ بألبابهم، إلا أنه لا يكاد يترك من المصنفات شيئا

[7] - حياتي في حكاياتي ص -304 305، وانظر: 165. وقد حكى الشيخ لطلابه حين كان يدرس لنا في السنة التمهيدية للماجستير بكلية دار العلوم عام -1991 1992 أن شيخا له كان يشرح لهم النحو برجليه، وقد يكون هو الشيخ أشهب نفسه؛ وذلك أنه قال لهم مرة كيف تعربون «أخرى» في قول القائل: «تقدمت خطوة وتأخرت أخرى»، فقالوا: صفة لموصوف محذوف هو خطوة، فقال لهم: إن المتقدم خطوة يتأخر الخطوة نفسها وليس أخرى، وخطا الشيخ وهو يشرح مقصده إلى الأمام خطوة ثم رجعها هي نفسها، وقال: إن المحذوف المقدر هو «مرة»، فتكون العبارة تامة هكذا: «تقدمت خطوة وتأخرت مرة أخرى»!

[8] - كنت عضوا في لجنة امتحان للمتقدمين لشغل وظيفة مدرس في العقيدة والفلسفة (Assistant professor) بالجامعة الإسلامية في إسلام آباد ممثلا لقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين حوالي عام 2008، فتقدم أحد الشباب الباكستانيين لشغل المنصب، فجادلته اللجنة في معلومات مذهبية بقصد معرفة انتمائه، فرد بما يريدون، لا بما يعتقد، فسألته: هل معك شهادة علمية في التخصص، فقال: معي شهادة عالية في اللغة العربية ولكني أعرف المنطق جيدا جدا، فقلت له: لكن الجامعة تشترط شهادة عالية في التخصص، فلما أكثر جدالي، قلت له: شيخي الأكبر الدكتور حسن الشافعي رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة، ومع هذا فهو لا يدرس اللغة العربية، فليس معه شهادة فيها!

[9] - حياتي في حكاياتي ص 305. في الأصل "صبغت" بالباء الموحدة، ويبدو أنه تحريف من الناشر.

له، وهو أمر راجع – في رأيي – إلى نمط التعليم في بلادنا حتى في عهده الزاهر ذاك؛ إذ كان تركيزه على التحصيل وتوريث المعرفة بصورة متقنة، دون أن يهتم بأن يضيف العالم الجديد إلى العلم كما فعل أسلافه[10].

وقد يسر الله لي قبل سنوات أن أنجز بحثا أراه مهما عن «منهج تدريس العلوم الإسلامية في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية ومعهد الدراسات الإسلامية في جامعة ماگل الكندية»، قارنت فيه بين المنهج التقليدي في تدريس العلوم الإسلامية والمنهج الغربي فيه، وتوصلت منه إلى أن المنهج التعليمي الأوفق هو الذي يورث العلم والقدرة على صناعته معا[11].

٣. ومن شيوخه في أصول الدين الذين ذكرهم، ويظهر أثرهم في صناعة شخصيته العلمية كذلك، أستاذه الشيخ أحمدين علي أحمدين الذي درّس له علوم الحديث، وكان – كما يسجل تلميذه النجيب – «شديد التمكن فيها، برغم تخصصه الدقيق في التفسير وعلوم القرآن الكريم. ومن تجديداته التي لم أرها لغيره في فنون الحديث، أنه حوّل الشروط القيمية المعنوية لأنواع الحديث؛ من صحيح وحسن وضعيف، إلى تقديرات رقمية بنسب مئوية تكشف عن منهج علماء السنة في فحص الأحاديث سندا ومتنا»[12]، وواضح أن حضور فكرة التجديد في إطار العلوم التقليدية لدى الشيخ بهذه الصورة الباهرة مثّل بُعدا مهما في شخصية تلميذه، ودعمته بلا شك عوامل أخرى، حتى بدا الشافعي مجددا يكتب في التجديد ويقترحه في بعض العلوم[13].

وقد أثنى الشافعي على مشيخته هذه في شعر لطيف صاغه، ومنه قوله:

---

[10] - أجد في نفسي دائما حرصا على أن يقوم أستاذ الجامعة بواجبه كاملا من التدريس والتأليف معا، وأعتبر التكاسل عن هذا خسارة كبيرة لمجتمعاتنا؛ خاصة حين يكون الأستاذ عالما ذا خبرة في مجاله، وقد دفعني هذا إلى أن أعرض على الناقد الكبير الدكتور رجاء جبر رحمه الله - وهو من هو حلاوة كلام وغزارة أفكار ونشاطا في الاطلاع والقراءة - أن يملي علي بعض أفكاره، ثم يراجعها وينظمها قبل النشر، فعبر لي عن رغبته في تأليف كتاب عن الحج، إلا أنه مكث معنا في إسلام آباد شهورا قليلة بعدها، ثم استقر في قاهرة المعز حتى اخترمه الموت رحمه الله في يونيو عام 2014م.

[11] - انظر البحث المذكور في حولية الجامعة الإسلامية في إسلام آباد، العدد 20، سنة 1432هـ/ 2012م.

[12] - حياتي في حكاياتي ص 306. والحقيقة أن تجديد دراسات السنة النبوية وفتح مجالات جديدة للبحث فيها ما زال أمرا ملحا على الباحثين في هذا الحقل العلمي المهم، وقد أشرت إلى بعض الاقتراحات بهذا الصدد في كتابي "قيم الحضارة في الإسلام.. دراسة من خلال السنة النبوية"؛ الطبعة الأولى، دار المقاصد - القاهرة 1436هـ/ 2015م.

[13] - انظر للشيخ كتابه: قول في التجديد، وكتابه مقدمة تأسيسية لعلم القواعد الاعتقادية.

شيوخٌ تناهى علمُهم حدَّ غايــةٍ ❋ يزيـدُ عليها عزمُ قلبٍ مؤيَّدُ
لهــم نظــرٌ في كلِّ سابقِ فكــرةٍ ❋ وموقفُ حقٍّ حين يدعوهمُ الغدُ
وليستْ علومُ الدينِ طُعمًا ولا هوى ❋ إلى المنصب الخاوي ولكنْ تجرُّدُ
فمـرآهمُ ذكـرٌ ومنطقُهـم هــدىً ❋ ونظرتُهـم طهرٌ تقـىً وتـودُّدُ
ألا ليت شِعْري هل يعودنَّ عهدُهم ❋ وتبقى لذاذاتُ النهى تتجدَّدُ!![14]

وأما الثقافة الحديثة فلها طرقها ومساربها إلى شخصية شيخنا، وعلى رأسها ما يلي:

١. دراسته في دار العلوم: فمع أهمية الدراسة الأزهرية التي حققت للشيخ التواصل المباشر والعميق مع التراث اللغوي والديني، فإن كلية دار العلوم العتيقة بسمتها التحديثي قد أضافت إلى شخصيته بُعد التواصل مع العصر من خلال العلوم نفسها تقريبا، فقد كانت الدار مشروعا لتحديث الدراسات الإسلامية واللغوية العربية، وتخرج كثير من أبنائها في جامعات غربية؛ ولهذا يقول الشيخ عن تجربته في هذا المعهد العلمي المهم: «جاءت في الحقيقة تجربة دار العلوم أكثر تفتحا من تجربة أصول الدين، لتهيئ ذهني أو مزاجي العقلي في أوائل الستينات لتقبل فكر الدكتور النويهي رحمه الله تقبلا إيجابيا إلى حد كبير»[15]، ويشير إلى الناقد الأديب الدكتور محمد النويهي الذي كان على معرفة واسعة بالثقافة والبلاد الغربية حيث درس ودرَّس، كما كان على معرفة ممتازة بالتراث اللغوي والأدبي العربي، وكان يرى أن الجمع بين هاتين الشعبتين من الثقافة هو باب التميز وطريق التجدد، وبذل وهو أستاذ في الجامعة الأمريكية بعض المساعي في هذا السبيل تجاه خريجي الأزهر ودار العلوم.

ومن أساتذته الذين نقلوا إليه هذا التأثير: مشرفه على بحث الماجستير الدكتور محمود قاسم الحاصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون، والدكتور محمد غنيمي هلال الحاصل عليها في الأدب المقارن من الجامعة نفسها، والدكتور إبراهيم أنيس الحاصل على الدكتوراه في علم اللغة من جامعة لندن. وإن كان لقاسم مقامه الخاص في هذا السياق، وعنه يقول الشيخ: «رحم الله أستاذنا د. محمود قاسم، وجزاه عن تكوينه لنا، وتوجيهه إيانا خير الجزاء»[16]، وقد لخصت هذه العبارة وظيفة المشرف على الرسائل

[14] - حسن الشافعي: عند الثمانين بدأت شعري ص 25، الطبعة الأولى، مكتبة ذخائر الوراقين - القاهرة 1437هـ/ 2016م، وانظر: حياتي في حكاياتي ص 307.
[15] - حياتي في حكاياتي ص 130.
[16] - حياتي في حكاياتي ص 45.

الجامعية؛ خاصة في مرحلة الماجستير، وهي التكوين والتوجيه، وهذا هو الذي قام به د. قاسم تجاه تلاميذه، وعاد به د. الشافعي على تلاميذه – وأنا منهم –، ولعل الله يعين على أن نقوم – أنا وأقراني من أساتذة الجامعة – تجاه أصدقائنا من الباحثين الشباب ببعض ما قام به شيوخنا معنا.

ولا يخفى ما في لفظي «التكوين» و«التوجيه» من اختصار لا إخلال فيه لمهمة المشرف العلمي في الجامعة، فأما التكوين فهو تنشئة الباحث وتربيته على عين مشرفه الخبير؛ حتى تنمو ملكاته العلمية، وترسخ قدراته البحثية؛ من دقة التعبير، وسلامة المعالجة، وصحة توظيف النصوص، وإجادة هندسة البحث، والقدرة على الإبداع العلمي والفكري. وأما التوجيه؛ المهمة الأخرى للمشرف، فإن قلة خبرة الباحث قياسا إلى مشرفه، تحوج الأول إلى إرشاد الثاني إلى المظان الخفية للمادة العلمية الت تعنيه، وإلى تضاريس التخصص التي ينبغي أن يتنبه إلى معالمها الظاهرة والخفية، وإلى دقيق المسائل وخفيها، وإلى العلاقات التي تربط علمه أو حقله العلمي بالعلوم والحقول العلمية الأخرى.

٢. دراسته في جامعة لندن وإقامته هناك بضع سنوات: وهي تجربة مهمة اكتسب فيها اللغة الإنجليزية عن أهلها، وكتب أطروحته للدكتوراه بها، وعايش الفكر والحياة الإنجليزية عن قرب، ورأى الدأب والجد الغالب عليها، وزاد قناعة بأن الانكفاء الثقافي والفكري على الذات لا يمثل حلا للأوضاع المتدهورة في العالم الإسلامي، وأن التثاقف الرشيد يفتح الباب واسعا لنهوض إسلامي كبير في هذا المجال.

٣. معلموه في لندن: وهو ولا شك تابع للعنصر السابق، إلا أنه يستحق الإفراد لنقدم فيه شيئا من التفصيل حول بعض المعلمين الذين أثروا فيه على ضفة الحضارة الغربية، ومنهم:

أ. مشرفته في جامعة لندن الأستاذة لاميتون التي أثرت في الشيخ بعمق، وقال عنها: «كانت تراجع معي ما أعده من أجزاء البحث تفصيلا وتناقش معي مشكلاته وتنصحني باستشارة المراجع الضرورية – بعد انتهاء العمل الرسمي بالمدرسة، وتبقى معي أو تبقيني معها إلى العاشرة مساء، وداومت على ذلك مدة ليست

بالقصيرة، وكنت أتركها بعد ذلك في مكتبها تخلو إلى أعمالها الأخرى»[17]. وقد علق الشيخ على هذا بما كان للمرأة المذكورة من جد واجتهاد عال نحتاج إليه في حياتنا الجامعية، وهو أمر أريد أن أزيده بسطا وبيانا في هذا السياق؛ لأن الأستاذ العالم الجاد – مهما يكن تخصصه العلمي – هو الذي يهب أمته خير الثمرات الممكنة من خلال التربية العلمية والفكرية لأبنائه الطلاب.

وحقيقة الأمر أن الجامعات هي التي تخرج معظم القيادات الاجتماعية في شتى قطاعات الحياة، وعلى قدر إحسان الصنعة التعليمية والبحثية تكون صورة الحياة الاجتماعية بمختلف نشاطاتها، والأمر كله قائم على أكتاف الأستاذ الجاد والمعلم العالم الذي لا يكل ولا يمل، ولا يرى نفسه أقل من الأستاذة لاميتون قدرة على بذل المجهود وتقديم وقته الثمين وحياته الغالية هبة للعلم والمعرفة وتربية الباحثين.

ولا يحمل نص الشيخ في أستاذته المذكورة هذه القيمة المهمة وحدها؛ أعني الجد التام في البحث والتعلم، بل الحرص الدائم والمثابر على إعداد الباحثين والتدقيق في توجيههم إلى ما يصقل قدراتهم البحثية وخبراتهم الأكاديمية ويستخرج المكنون من مواهبهم وإمكاناتهم، وهو ما لا يخطئ ملاحظته المشتغلون مع الشيخ بالبحث العلمي، وأنا واحد منهم؛ إذ كان يدقق لغة البحث، ويراعي منها حتى الجرس الصوتي بعد سلامة القواعد، ويتابع تسلسل الدراسة والعلاقات المنطقية بين أجزائها، وينصح بـــ«استشارة المراجع الضرورية»، وقد يضيف عبارات علمية يهديها إلى طلابه.

ب. وأما أستاذه الآخر في جامعة لندن الدكتور جونسون، فقد قال الشيخ يحكي عنه: إنه لما ودعه قبل العودة إلى القاهرة: «سلّم عليّ مستأذنا في منتصف الطريق، وجلس على إحدى المقاهي، وقالت زوجته التي ودعتنا على المحطة: إنه يبكي، ولم يستطع أن يتحمل ساعة الفراق، فهو رجل عاطفي، عودوا إلى مصر يحفظكم الله!»[18].

[17] - حياتي في حكاياتي ص 100، غيرتُ علامات الترقيم خلاف الأصل؛ حتى يُعلَم أن الظرف "بعد" هو متعلَّق الفعل "كانت" في صدر الكلام. وقصد بالمدرسة كلية الدراسات الاستشراقية والأفريقية (School of Oriental and African Studies = Soas) في جامعة لندن التي رأست لاميتون فيها قسم الشرق الأوسط. وقد قال عن هذه المرأة الجادة بعد هذا: إنه زارها بعد حوالي عشرين سنة من تخرجه (تخرج سنة 1977) مع الدكتور محمد عبد الحليم والدكتور سعيد بدوي: «مررنا.. على المكتب الذي كانت تشغله مس لاميتون نستعيد ذكرياتها، وعندما نزلنا إلى الدور الأرضي، وجدناها وقد تجاوزت التسعين أو ناهزت المائة تشارك في ندوة، وتسير على عكازين متصلين أمامها، تحركهما خطوة خطوة، فسلّمنا عليها، وتناولنا معها الغداء بالمدرسة، ثم ودّعناها لنسمع بعد فترة قصيرة بوفاتها، ونتذاكر جهودها التي لا تُنسى» حياتي في حكاياتي ص -102 103.

[18] - حياتي في حكاياتي ص -101 102.

وتلك مسألة أخرى يجب أن تكون حاضرة في حياة الأستاذ؛ إذ لا تربطه بطلابه مجرد وظيفة يسترزق منها، بل عملية التعليم هي تشكيل عائلة من نوع خاص يربط بين أعضائها العلم، ويصل بين أبعاضها المعرفة، وإذا جفت هذه العلاقة جفت معها المعرفة، في حين أن العاطفة تطرّيها وتبعث فيها ماء الحياة، وهو الجو الملائم لإنتاج العلم الحي النافع.

وقد لمست في شيخنا الدكتور الشافعي هذا الحس تجاه تلاميذه، فكلهم أبناؤه، ولهم منزلة في قلبه إلى جانب مشايخه الأجلاء، يلين لهم حين يحتاج الأمر لينا، ويشتد حين يبدو له توانيهم أو تقصيرهم، ويحمّلهم المسئوليات الثقال بقدر ما يؤمل فيهم، حتى سمعت وسمع آخرون منه عبارته الأثيرة: «من أحببتُه أتعبتُه»؛ إشارة منه إلى ما يطلب منهم من إعادة القراءة والتوسع في البحث والنظر وبذل الجهد.

ج. وقال الشيخ عن معلمته التي درست له اللغة الإنجليزية في لندن وأستاذه في دار العلوم علي النجدي ناصف: إنه يتمنى ويدعو الله أن يكون مثلها «انضباطا وبراعة مذهلة في التحرك بين منصة الأستاذية وسبورة الشرح وجمال الخط والصوت ودقة التمثيل، والقدرة غير العادية على الإفهام والشرح. أداء رائع ممتع واضح داخل غرفة الدرس، وضبط لحجم العمل على مقدار الوقت، وإتاحة الفرصة للمناقشة، وتشجيع الدارسين المتفوقين وغيرهم»[19].

٤. القراءة والتدريس: ويمتاز الشيخ في هذا الجانب بسرعة القراءة واتساعها بالعربية والإنجليزية والفارسية، وكان للثقافة الغربية نصيبها الكبير من قراءاته، وقد فوجئت به في مناقشته لي في بحث الدكتوراه بأنه يتكلم عن «كم المحمول» وأنه فاتتني الإشارة إليه وأنا أتكلم عن مقولة الكم. و«كم المحمول» هو مفهوم يرد في كتب المنطق الحديث، ويشير إلى الاهتمام بأن يكون لمحمول القضية كم مثلما أن للموضوع كما، وكنت لا أحسبه تجاوز بقراءته في المنطق كتب القدماء، فإذا به قد أبحر فيما وقع له من الإنتاج الفكري للغرب الحديث والمعاصر عموما، ودرّس جوانب منه في مناسبات عدة في السودان وباكستان ومصر، يقول: «كنت معارا لجامعة أم درمان الإسلامية لتدريس بعض العلوم الفلسفية بكلية العلوم الاجتماعية، وقد كُتب علي أن أدرّس

[19] - حياتي في حكاياتي ص 166. وقد كتب "صالح" بدل "ناصف"، وهو سهو سبق إليه القلم.

كل المواد الفلسفية تقريبا حيث كنت أعاون رئيس القسم الذي تركني وسافر في إعارة»[20].

والحقيقة أن اقتناع الشيخ بأهمية مطالعة الفكر الحديث إلى جانب التضلع من الثقافة التراثية الإسلامية، قد احتاج إلى وقت حتى تحقق عنده؛ إذ كان أولَ أمره غائصا في الأزهر ونظامه التعليمي، فقد سمع – كما يقول – «من الشيخ سيد سابق أن محمد عبده، وأي أزهري، لم يكن ليستطيع أن يقدم شيئا جديدا إلا بعد خروجه من الدائرة الأزهرية إلى مجال أرحب أو دائرة أخرى، فأنكرتُه ورفضته عندئذ»[21]، إلا أنه اقتنع بكلام الشيخ فيما بعد، حتى إنه فرح حين أعلنت الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام 1963 «عن منح تتيح فرصة للمتميزين من خريجي دار العلوم والأزهر الشريف لمتابعة الدراسات العليا بالجامعة الأمريكية، إلى جانب تعلم اللغة الإنجليزية وإتقانها؛ لتكوين عقليات جامعة بين تعمق التراث واستيعاب الحداثة في وقت معا»[22].

٢. جهود الشيخ الشافعي في خدمة علم الكلام والمذهب الأشعري

التخصص العلمي الأول للدكتور حسن الشافعي هو علم الكلام، وقد وجهه إلى هذا الاهتمام الدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد الذي أهدى الشيخ إليه كتابه «المدخل إلى علم الكلام» منوِّها بهذا التوجيه[23].

ومع أنه أخرج إلى المطبعة خلال العقد الأخير حوالي سبعة كتب جديدة، إلا أن الدكتور الشافعي ليس من المكثرين في التأليف، وقائمة كتبه تتضمن العناوين التالية:

أولا: التآليف وإبداعات

١. الآمدي وآراؤه الكلامية.
٢. المدخل إلى دراسة علم الكلام.
٣. مقدمة تأسيسية لعلم القواعد الاعتقادية.

---

[20] - حياتي في حكاياتي ص 104.

[21] - حياتي في حكاياتي ص 129.

[22] - حياتي في حكاياتي ص 126.

[23] - أذكر أنني حين حصلت على الشهادة الثانوية عام 1987 عزمت على الالتحاق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب، إلا أن أستاذي الشاعر اللغوي الأستاذ مصطفى درديرحفظه الله نصحني بدار العلوم؛ لما فيها من الجمع بين علوم العربية وعلوم الشريعة، فحولت نصيحته مسار حياتي كله. وليست هذه أول يد له عندي، بل أسمعني الرجل وأنا غض العود من شعر العربية ونثرها ما ساعد الملكة اللغوية على أن تتمكن.

٤. فصول في التصوف.
٥. حكم من عطاء الله.
٦. التيار المشائي في الفلسفة الإسلامية.
٧. مدخل إلى الفلسفة العامة (بالاشتراك مع د. كمال جعفر).
٨. محاضرات في المنطق (بالاشتراك مع د. محمد السيد الجليند).
٩. في فكرنا الحديث والمعاصر.
١٠. قول في التجديد.
١١. مقال في المنهج.
١٢. المدخل إلى مناهج البحث وكتابة البحوث وتحقيق المخطوطات.
١٣. شهادة أزهري معاصر على مسار التحول الديمقراطي في مصر.
١٤. حياتي في حكاياتي.
١٥. عند الثمانين بدأت شعري (ديوان شعر).

ثانيا: التحقيقات

١. غاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الآمدي.
٢. المبين فى شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين للآمدي.
٣. أساس الاقتباس في المنطق لنصير الدين الطوسي (المجلد الأول؛ بالاشتراك مع د. محمد السعيد جمال الدين).
٤. عطف الألف المألوف على اللام المعطوف، لأبي الحسن علي بن محمد الديلمي (تحقيق بالاشتراك مع جوزيف نورمنت بل).

ثالثا: التراجم

١. تطور الفكر الفلسفي في إيران، لمحمد إقبال، (شاركه في الترجمة: د. السعيد بدوي).
٢. في تاريخ التشريع الإسلامي، ن. ج. كولسون (مراجعة الترجمة التي قام بها د. محمد أحمد سراج)[24].

[24] - الذي دعاني إلى إدراج هذا الكتاب هنا هو المعروف من دأب الشيخ في القيام بهذه المهمات العلمية وبذله الجهد الأتم في هذا، وقد قال المترجم في مقدمته: «إنني أدين في عملي هذا للدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعي بأمور كثيرة؛ فإنه تفضل مشكورا بمراجعة الترجمة ومطابقتها على النص الأصلي بما هو معهود فيه من صبر ودأب على البحث والتحري؛ بغية الوصول إلى أقرب تعبير عن مقصد المؤلف وأوضحه. لقد زاملت الأستاذ المراجع طيلة فترة المراجعة، وتناقشنا طويلا في فكر المؤلف وآرائه، مما كان له أثر كبير في إضافة بعض التعليقات التي أوردتها توضيحا لرأي المؤلف أو نقدا له من وجهة نظر الباحث المسلم» مقدمة ترجمة كتاب في تاريخ التشريع الإسلامي ص

هذا غير بحوث كثيرة محكّمة نُشرت للشيخ في دوريات ومجلات محكمة بدول مختلفة، وقد رأيت أكثرها مجموعا عند الصديق الدكتور السيد مصعب الخير الإدريسي، وأخبرني أنها آلت إلى الأستاذ حاتم يوسف، ولعلها ترى النور قريبا مطبوعة في أكثر من كتاب.

ويضاف إلى هذا الإنتاج المطبوع للشيخ إنتاجه الصوتي؛ أعني دروسه المسجلة والمنتشرة خلال شبكة المعلومات الدولية (إنترنت)، وأهمها ما يلي:

١. شرح أبكار الأفكار لسيف الدين الآمدي بمسجد الفاكهاني بالقاهرة.
٢. شرح العقيدة النسفية من خلال النبراس للفرهاري.
٣. شرح مواقف القاضي عضد الدين الإيجي بالجامع الأزهر.
٤. تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام لعبد القادر السنندجي الكردستاني.
٥. حاشية الأمير على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرة في علم الكلام بالعشيرة المحمدية بالقاهرة.
٦. شرح الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي بالعشيرة.
٧. شرح الحكم العطائية لابن عجيبة.
٨. مجالسه بإمارة الشارقة في شرح الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (اثنا عشر مجلسا).
٩. شرح معيار العلم في المنطق للغزالي.

وعند النظر في هذه القوائم سنجد أن علم الكلام قد غلب من حيث الكم على التأليف والتحقيق والشرح الصوتي عند الشيخ، كما امتد تأليف الشيخ في هذا الفن زمنيا من بداية خوضه عالم التأليف والتعليم إلى الآن، فقد حصل على الماجستير من كلية دار العلوم سنة 1969 في تحقيق «غاية المرام في علم الكلام» وتأليف «الآمدي وآراؤه الكلامية»؛ فكان الكتاب الثاني في الأساس دراسة للأول تممت أطروحته المذكورة، وأخيرا طُبع قبل أقل من عامين كتابه المهم «مقدمة تأسيسية لعلم القواعد الاعتقادية»، وبينهما حصل على الدكتوراه في كتاب «تجريد الاعتقاد» لنصير الدين الطوسي، وأعرف أنه في طريقه إلى الطباعة، كما ألف كتابه الأشهر «المدخل إلى دراسة علم الكلام»، وله كتاب «لمحات في علم الكلام» لم أدرجه هنا؛ لأن أكثره مأخوذ من «الآمدي وآراؤه الكلامية».

-5 6، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت 1412هـ/ 1992م.

ولا يرجع التفوق الكمي للمؤلفات الكلامية في كتب الدكتور الشافعي فقط إلى عدد ما وضعه أو حققه من كتب في هذا الفن، بل إن أحجام الكتب تؤكد هذا التفوق بحسم؛ إذ إن أكبر كتبه المؤلفة هو: الآمدي وآراؤه الكلامية، والمدخل إلى دراسة علم الكلام، وأضخم كتبه المحققة هو: غاية المرام في علم الكلام، وأساس الاقتباس في المنطق، لكنه انفرد بتحقيق الأول، واعتمد فيه على نسخة وحيدة يصعب معها التحقيق.

وقد لا يبدو هذا الاهتمام الكمي بعلم الكلام ذا قيمة بدون قراءة دلالة الموضوعات والمحتوى نفسه؛ إذ يظهر بوضوح أن اهتمام الشيخ به جاء **أولا** على مستوى النص التراثي، وهو الأصل في فهم هذا العلم والأصل في تجديده كذلك، وبدون بعث هذا النص وتكوين خبرات عميقة به (من خلال التحقيق والتدريس معا) لن يقوم التجديد على أصل يُعتمَد عليه.

ثم جاء الاهتمام به **ثانيا** على مستوى الدراسة والبحث وفقا للقواعد الأكاديمية الراسخة في مجال الدراسات الجامعية، وهذا في الحقيقة جزء مهم من التجديد، ووصل للقديم بالجديد، وظهور لإيجابية العقل المعاصر تجاه جهود الأسلاف رحمهم الله، وهو – مع هذا – موقف وسط بين هجر التراث والجمود عنده.

و**ثالثا** جاء اهتمام الشيخ بعلم الكلام على مستوى المنهج وعلى مستوى الموضوع والتاريخ على السواء، فبحث في كل قضايا هذا العلم ومسائله تقريبا، ودرس تاريخ الفرق الإسلامية وموقفها بين العقل والنقل، كما درس منهج المتكلمين في المعالجة والاستدلال، واقترح تأسيس «علم القواعد الاعتقادية»، وهذا الجمع يؤكد على وجود رؤية متكاملة لديه في داخل الإطار الكلامي نفسه، بدءا باستيعاب تراثه، ثم فحص هذا التراث ودراسته، ثم إدراك الجوانب المنهجية للعلم.

وإذا عدنا إلى قوائم الإنتاج العلمي للشيخ في عمومها، سنجد كذلك أنها تنوعت حتى شملت أكثر فروع الدراسات الفلسفية الإسلامية كما استقرت لدى أصحابها، فقد كتب وحاضر – إضافة إلى علم الكلام – في التصوف والمنطق والفلسفة وعلم الأخلاق والفكر الحديث والمعاصر، وكان الشيخ ينصحنا بألا ينكفئ أحدنا على فرع واحد من التخصص مهملا مساحات أخرى مترامية فيه.

ولهذا التنوع المشار إليه عند الشيخ دلالته المهمة بالنسبة لعلم الكلام كذلك؛ إذ يعني إدراكَ الشيخ الجيد لطبيعة العلاقات بين هذه الحقول الفلسفية المتجاورة؛ فالمنطق هو عماد منهج الاستدلال الكلامي التقليدي، وموضوع الفلسفة يشارك في جانب منه موضوع

علم الكلام؛ هذا غير المشابهة المنهجية، والتصوف هو ممارسة للمعاني العقدية على نحو من الأنحاء، وأخيرا فإن الموقف من مواريثنا الثقافية على العموم هو قضية أساسية من قضايا فكرنا الحديث والمعاصر.

وأما أشعرية الدكتور حسن الشافعي وخدمته لها، فإنه يصدق عليه بنسبة كبيرة وصفه لأحد الأشخاص بأنه «متمسك بالنهج الأزهري التقليدي المتمثل في الأشعرية مذهبا، والتصوف مسلكا، والتراث عناية ودرسا»[25]، كما يصدق عليه – لله دره – قول نفسه عن المصريين: «إن العقلية المصرية من قديم تتسم بالتفتح والوسطية مع توليفة من التصوف والعقيدة الأشعرية»[26]، وكنت مرة قرب مكتب الشيخ بدار العلوم في جماعة من الأساتذة والطلاب، فتقدم الشيخ خطوات إلى الأمام فيما بقي طالب يخاطب شيخنا الدكتور عبد الحميد مدكور بأنه يرغب في الاشتغال بعلم الكلام الأشعري، فأشار إلى الدكتور الشافعي دون أن ينتبه وقال: هذا أكبر مختص بالفكر الأشعري في العالم.

ومهما يكن من أمر، فإن انتماء الشيخ إلى دينه وأمته ووطنه ومذهبه الأصولي (الأشعري) والفروعي (الحنفي) مع اتسامه بالعاطفة الدفاقة الحية، فإنه انتماء قائم على رؤية تجديدية مؤصَّلة، تتلقى بوعي، وتعي بعمق، وتتعمق بما يزيد الأصيل رسوخا وينفي الدخيل والخطأ، ومن هنا كان انتماؤه إلى الأشاعرة يمثل امتدادا واعيا لخط فكري له أصالته ومغرسه العميق في تاريخ الأمة الإسلامية.

وبسبب الرؤية التجديدية المشار إليها، وافق الشيخ أسلافه من علماء الأشاعرة وخالفهم، واحتفظ باستقلال شخصيته العلمية منذ دراساته الأولى، وسيأتي فيما بعد نماذج على هذا.

وفي خدمة التراث الأشعري كتب الدكتور حسن الشافعي رسالة الماجستير حول كتاب الآمدي «غاية المرام في علم الكلام»، ودرس معه آراءه الكلامية، كما حقق له «المبين في ألفاظ الحكماء والمتكلمين»، وأوسع للفرقة السنية الكبيرة جانبا من كتابه «المدخل إلى دراسة علم الكلام»، واعتبر أنها قريبة من تحقيق التوازن بين العقل والنقل.كذلك نال التراث الأشعري اهتمام الشيخ في دروسه بمساجد القاهرة، بدءا بأبكار الأفكار للآمدي، مرورا

[25] - حياتي في حكاياتي ص 248.

[26] - شهادة أزهري معاصر على مسار التحول الديمقراطي في مصر ص 159، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي - تونس 2014م.

بمواقف الإيجي، وتقريب المرام في شرح تهذيب الكلام للسنندجي، وحاشية الأمير على الشيخ عبد السلام على الجوهرة، والاقتصاد في الاعتقاد.

ومن بحوث المؤتمرات التي شارك فيها ودارت حول الأشاعرة أو بعض رموزهم: دراسته «قراءة جديدة في إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري.. نهاية إشكالية فكرية»، ودراسته الأخرى «الغزالي.. المنهج وبعض التطبيقات»[27].

ويجدر بالذكر قبل أن نغادر هذا المبحث إلى تاليه، أن نشير إلى أن بعض أفكار الشيخ التي ذكرها في كتبه المتقدمة والمتوسطة قد تعرضت لشيء من التطور، لكنه احتفظ على العموم باعتدال النظرة والتماس الأعذار، ومن هنا لزم كي نتعرف على الموقف الذي يتبناه الشيخ من قضية ما أن نطالع جملة مؤلفاته ودروسه؛ خاصة المتأخر منها.

كذلك لابد من الإشارة إلى حرص الشيخ على ربط طلاب العلم بكتب القدامى مباشرة وتدريسها لهم على الطريقة التقليدية كما يظهر من قائمة دروسه العلمية السابقة. ولا ينبع هذا في الحقيقة من نكوص عن التجديد؛ إذ إن الغرض من تدريس هذه الكتب العتيقة هو تقوية الملكة العلمية، وليس الوقوف منها موقف السلب والاستسلام.

والحقيقة أن هذه نظرية مهمة في التعلم؛ إذ إن التعلم ليس كله لتحقيق القناعات، بل قد يدرس الطالب شيئا لإكسابه ملكة لغوية أو فكرية أو منهجية كما يفعل الطائر حين يلتقط بعض الحصيات لا ليتغذى بها، ولكن ليدرب حوصلته على هضم الأغذية الجافة وذات القصرة الصلبة.

٣. أهل السنة: حدود المصطلح عند الشيخ

لابد من تحرير هذا المصطلح وتجلية معناه كما فهمه الدكتور حسن الشافعي؛ محور هذه الدراسة؛ حتى نعرف بدقة ما تشير إليه أحكامه وآراؤه في هذه الناحية؛ خاصة في أجواء تتعمد فيها بعض الأطراف إدخال من تشاء وإخراج من تشاء من ماصدق أهل السنة بتأثير من عوامل غير علمية.

فماذا يعني الشيخ بهذا المصطلح؟ وهل تغير رأيه فيه؟

---

[27] - نُشر بحث الغزالي في كتابه: مقال في المنهج ص 71 وما بعدها، مكتبة ذخائر الوراقين - القاهرة 1437هـ/ 2016م.

يقول البابرتي في شرح قول الإمام أبي جعفر الطحاوي في أول العقيدة: «أهل السنة والجماعة»: «أهل الشيء: ملازمه، والسنة في اللغة: الطريقة، وفي الشرع: اسم للطريق المسلوك في الدين. وقد تقع على سنة النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الصحابة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»، ولكن المراد بها هاهنا الطريقة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأُمر بالدعاء إليها بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾. والمراد بالجماعة الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وإليه الإشارة بقوله: «وهو الطريق الذي أنا عليه وأصحابي». إنما سميت هذه الطريقة طريقة أهل السنة والجماعة لأنها مخالفة لطريق أهل الهوى والبدعة»[28].

ونلاحظ هنا أن تحديد ماصدق «أهل السنة والجماعة» جاء عاما: «ما عليه أنا وأصحابي»، في حين أننا نحتاج إلى بيان يعيِّن من الفرق الإسلامية من يدخل تحت هذا المصطلح ومن لا يدخل، وهو ما نحاول التماسه هنا عند د. الشافعي لاختصاص المقام، فقد تكلم في بعض السياقات عن الخلاف بين الأشاعرة وذوي النزعة السلفية من العلماء في القرن السادس وما بعده، فقال: «هذا الخلاف... – على حدته – كان يبدو خلافا داخل إطار مذهب أهل السنة والجماعة، فلم يحل دون شعور التضامن والتقدير المتبادل بين قادة السلفية المستنيرين وبعض الأشاعرة، ومنهم الآمدي الذي يقول في الأبكار: «وأما الفرقة الناجية، وهي الثالثة والسبعون، فهي ما كانت على ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وسلف الصحابة عليه... وهذه الفرقة هي الأشاعرة والسلفية من المحدِّثين وأهل السنة والجماعة؛ وذلك أنهم لم يخلطوا أصولهم بشيء من بدع القدرية والشيعة والخوارج والمرجئة والنجارية»، بينما ظل الخلاف الرئيسي على أشده ضد هؤلاء الخارجين على مذهب أهل السنة والجماعة، وخاصة غلاة النفاة كالفلاسفة والإسماعيلية من جانب، وغلاة الحشوية والمشبهة كالكرامية وغيرهم من جانب آخر»[29].

فقد أخرج من نطاق أهل السنة – في نصه والنص المتداخل معه – القدرية والخوارج والمرجئة والنجارية والفلاسفة والإسماعيلية والشيعة عموما وغلاة الحشوية والمشبهة كالكرامية، وصرح بدخول الأشاعرة ومستنيري السلفية، أو السلفية من المحدّثين تحت

[28] - محمد بن محمد بن محمود البابرتي: شرح العقيدة الطحاوية ص 17، تحقيق: عبد السلام شنار، الطبعة الأولى، دار البيروتي - بيروت 1430هـ/ 2009م.

[29] - د. حسن الشافعي: الآمدي وآراؤه الكلامية ص -20 21.

أهل السنة، ولم يصرح هنا باسم الماتريدية، وإن كان مفهوما من السياق لاتفاقهم المشهور مع الأشاعرة في أكثر المواقف الكلامية.

ويؤكد هذا الأمر الأخير أنه في موضع آخر له نجد تصريحا منه بالتوافق بين رأسي الفرقتين السُّنيتين، فبمناسبة حديثه عن الشيخ أبي الحسن الأشعري واستفادته المنهجية من الجبائي في معالجة ما استقر عليه رأيه من تأييد رأي أهل السنة وتوجههم الكلامي، يقول الدكتور حسن الشافعي: «إنه (الأشعري) قد التقى تماما فيما ذهب إليه من آراء مع معاصر له هو أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي (ت. 333هـ) ربيب المدرسة الحنفية... مما يدل على أنهما في الحقيقة يناصران – بأدوات جديدة تناسب عصرهما – مواقف الكتاب والسنة... ليكونا إمامين للكلام السني والخطاب الديني الوسطي»[30].

بل صرح في موضع آخر من ملحق بالدراسة نفسها فقال: «إن الأشاعرة يرون أن أهل السنة هم الأشاعرة والماتريدية وشيوخ الحديث»[31]، ويدعم هذا الاعتبار أكثر اعتناؤه بالعقيدة النسفية الماتريدية التي شرح فيها نبراسَ الفرهاري على شرح السعد لها في بعض دروسه المسجدية.

وفي سياق آخر أقدم نجد لدى الشيخ إضافة وتحديدا أكثر لمكانة الماتريدية والأشاعرة والحنابلة والظاهرية في البنيان السني، فيقول: «وهم (الماتريدية) يشكلون مع الأشاعرة الجناح الكلامي لأهل السنة، بينما غلبت الروح النصية إلى حد ما على الحنابلة والظاهرية الذين كانوا أقرب إلى روح المحدثين والفقهاء، كما كان المعتدلون منهم أكثر تمثيلا لموقف السلف في مسائل العقيدة»[32].

وبهذا يشمل مصطلح أهل السنة عند الشيخ في زماننا الحالي ومنذ عدة قرون كلا من الأشاعرة والماتريدية والسلفية والظاهرية مع وجود تفاوت في كل تيار منها، ومع وجود جناحين يعالج أحدهما قضايا الاعتقاد وفق المنهج الكلامي، والآخر أقرب إلى المنهج الأثري، وإن كان السؤال قد يُطرَح حول مصطلح أهل السنة وهل يمكن أن يضم قوما يقولون بتأويل

---

30 - د. حسن الشافعي: قراءة جديدة في إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري.. نهاية إشكالية فكرية ص 178، بحث ضمن مؤتمر: أبو الحسن الأشعري (صدرت أعماله في 4 مجلدات)، والبحث المذكور في المجلد الثاني، دار القدس العربي.

31 - د. حسن الشافعي: قراءة جديدة في إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري.. نهاية إشكالية فكرية ص 199.

32 - د. حسن الشافعي: المدخل إلى دراسة علم الكلام ص 82، الطبعة الثانية، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - كراتشي - باكستان 1422هـ/ 2001م.

الصفات وصرفها عن ظاهرها إلى ما يليق بجلال الله تعالى، وآخرين يفوضون المعنى فيها إلى عالمه سبحانه، وآخرين يقولون بالتحقيق التام وأخذ الألفاظ المخبرة عن الصفات الإلهية على الوجه الذي تفيده اللغة مع نفي الجسمية في الوقت نفسه؟

والحق أن الجمهور على هذا الجمع، بالرغم من إدراك هذا الاختلاف غير الهين، والجمهور هنا ليس جمهور الناس وعامتهم، وإنما هم جمهور أهل العلم؛ وذلك لأن المواقف السابقة لا تشتمل على إنكار صريح لأي أصل من الأصول الثابتة، فلو سألت المؤولين: هل تنفون الصفات عن الله تعالى، لأنكروا هذا، ولو سألت المثبتة: هل تؤمنون بأن الله جسم وأنه يحويه مكان، لأنكروا هذا أيضًا.

وهذا يعني أن المسألة تقع في دائرة التخطئة والتصويب وليس في دائرة التكفير والإخراج من الملة؛ لذا قال الإمام ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» عن الخلاف الأشهر في النطاق السني حول آيات الصفات: «إن المسلمين قاطبة أجمعوا على استحالة التجسيم والحلول والاستقرار على الله تعالى، وحكم بذلك صريح العقل. وأجمعوا أيضا على استحالة إرادة الحقيقة فيما ورد من ظواهر الآي والأخبار مما يوهم ذلك. واختلفوا بعد ذلك في مسألة منها، وهي: هل يصح إطلاق جهة الفوقية والعلو من غير تكييف ولا تحديد عليه تعالى؟»[33]، ثم ذكر تفاصيل في هذا الاختلاف اتفق أصحابها على نفي الحدوث والكيفية والجسمية.

غير أن مما يلفت النظر هو أن بعض الأشاعرة قالوا بالفوقية من غير تكييف وشاركوا في هذا ذوي الاتجاه السلفي والحديثي، وفي هذا يقول العلامة الهيتمي: «المذهب الثاني (أي في مسألة العلو): جواز إطلاق فوق من غير تكييف ولا تحديث؛ نقله أبو المعالي إمام الحرمين في الإرشاد عن الكرامية وبعض الحشوية، ونقله القاضي عياض عن الفقهاء والمحدثين وبعض المتكلمين من الأشعرية... وحكاه ابن بزيزة في شرح الإرشاد عن القلانسي من مشايخ الأشعرية وعن البخاري وغيره... واختار هذا المذهب ابن عبد البر في الاستذكار... وهو ظاهر كلام الشيخ أبي محمد بن أبي زيد في رسالته»[34]، وفي فتاوى العز بن عبد السلام بيان لهذا، حيث

[33] - أحمد بن حجر الهيتمي: الفتاوى الحديثية ص 110، دار المعرفة - بيروت، ب. ت.

[34] - الهيتمي: الفتاوى الحديثية ص 111، ويعني بهذا قول ابن أبي زيد: «وأنه (سبحانه) فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه» أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني: الرسالة في فقه الإمام مالك ص 7، تحقيق: الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية - بيروت، ب.ت. وانظر: شرحي الشيخ أحمد زروق والشيخ قاسم بن عيسى التنوخي الغروي على متن رسالة ابن أبي زيد حيث قال الثاني: «قوله: (وأنه فوق عرشه المجيد بذاته): روي المجيدُ بالرفع على أنه خبر مبتدأ، وروي بالخفض على النعت للعرش [مثل قوله تعالى: ﴿ذُو العَرْشِ المَجِيدُ﴾ بالرفع عند العشرة، عدا حمزة والكسائي وخلف الذين خفضوها صفةً للعرش]، وهذا مما انتُقد على الشيخ رحمه الله في

قال: «وظاهر ما ذكره ابن أبي زيد القول بالجهة؛ لأنه فرق بين كونه على العرش وبين كونه مع خلقه، والأصح أن معتقِد الجهة لا يكفَّر؛ لأن علماء المسلمين لم يخرجوهم من الإسلام، بل حكموا لهم بالإرث من المسلمين والدفن في مقابرهم وتحريم دمائهم وأموالهم وإيجاب الصلاة عليهم. وكذلك سائر أرباب البدع لم يزل الناس يجرون عليهم أحكام الإسلام، ولا مبالاة بمن كفرهم لمراغتمه لما عليه الناس»[35].

وإذا تقرر هذا، فإنه لابد من أن تكون هناك ضوابط جامعة لمن يدخل تحت «أهل السنة والجماعة»، فكما أن القائلين بالإمامة في آل البيت وأنها من أركان الدين يجمعهم اسم الشيعة، والقائلين بالأصول الخمسة يجمعهم اسم المعتزلة، فمن حقنا أن نسأل عن الأصول الجامعة لأهل السنة بتنوعاتهم المختلفة؟

والحقيقة أن الإجابة المجملة بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم لا تحل المسألة لأمرين؛ الأول: أن التطور الفكري والعلمي قد طال كل التيارات الإسلامية تقريبا طوال القرون المديدة التي مرت من تاريخ الإسلام؛ بما في ذلك التيارات السلفية التي خاضت في تفاصيل عقدية لم يرد عن السلف الصالح أنهم خاضوا فيها أبدا؛ لأنها لم تُطرَح في عهدهم أصلا. والأمر الثاني: أن أكثر الفرق تدعي أنها على ما كان عليه النبي وأصحابه، وتملك في سبيل ذلك أسانيد تمر من مؤسسيها إلى الصحابة ثم النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد حدد الدكتور الشافعي مميزات الطرح السلفي الأول باعتباره الأصل الذي تفرع عنه غيره من فرق إسلامية فيما يلي:

١. التوسط بين العقل والنقل دون إغفال لأي منهما على حساب الآخر، ولكنه... يعطي الكلمة العليا للوحي باعتبار أن العقيدة الدينية ليست مجرد ميتافيزيقا فلسفية، بل هي أحكام شرعية ملزمة للمكلف، ولذا فمرجعها الأخير هو الوحي، ولكن هذا لا يعني إغفال العقل؛ إذ النصوص تتضمن أيضًا الحجج العقلية، وهي لا تتناقض معها على أية حال.

قوله: «بذاته»؛ فإنها زيادة على النص، فمن مخطِّئ ومن معتذر» شرح زروق والغروي على متن الرسالة لابن أبي زيد 1/ 28، دار الفكر (طبعة مصورة) - بيروت 1402هـ/ 1982م.

[35] - عز الدين بن عبد السلام: كتاب الفتاوى ص 153، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الفتاح، الطبعة الأولى، دار المعرفة - بيروت 1406هـ/ 1986م. وانظر: الفتاوى الحديثية ص 111.

٢. عدم الإسراف في التأويل إلا بقدر ما توجبه قواعد اللغة واستعمالات الشرع، ولكن مع نفي المعاني المستلزمة للتشبيه والكيفيات الحسية؛ أي أنه إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل.

٣. قبول الأدلة النقلية الصحيحة: وأولها الأدلة القرآنية، ثم الأدلة التي أساسها الإجماع، ثم الأحاديث المتواترة، ثم الأحاديث الآحادية المقبولة سواء كانت صحيحة أو حسنة، والتشدد في رفض الضعيف والموضوع منها؛ حماية للعقيدة واتباعا للدليل متى أثبت النقد العلمي صحته.

٤. العمل على التزام الشريعة بكاملها، مع الحرص على عدم رفع الفروع العلمية إلى مستوى الأصول الاعتقادية»[36].

وقد امتاز التيار السني من بين الفرق الكثيرة الأخرى التي تفرعت عن هذا الأصل، بأنه الأكثر محافظة على الأصل والأقرب إلى تحقيق التوازن بين العقل والنقل، وكذلك بين التنزيه والإثبات، دون أن تظهر فيه بدعة كبيرة مثل نفي القدر، أو الغلو في نفي التنزيه، أو القول بالتجسيم الصريح، أو اعتبار الإمامة ركنا من أركان الدين وأنها يجب أن تكون في آل البيت وحدهم.

٤. فكرة التقريب بين أهل السنة وتطبيقاتها عند الشيخ

خلق الله تعالى الناس متنوعين في عقولهم وشكولهم وأعراقهم ولغاتهم ومذاهبهم ومللهم، ومع هذا فهم مضطرون إلى أن يساكن بعضهم بعضا، ويتبادل بعضهم المنافع مع بعض؛ لذا لزم أن تكون هناك صيغ للتفاهم بين الخلق – مهما بلغت درجة الاختلاف بينهم – بما يحفظ مصالح جميع الأطراف، ويحول دون وقوع الحروب والفتن التي يعم شرها الظالم وغير الظالم، وإذا كان تجنب هذا صعبا في حق الدول عادة، فهو ممكن وضروري في حق الدولة الواحدة.

ولما كان الناس شعوبا وقبائل، فقد اختلفت درجات القرابة فيما بينهم، فمنهم الأقارب ومنهم الأباعد، وفي كل الأحوال تبقى احتمالات المساكنة والمعايشة بين هؤلاء وأولئك قائمة، ومن المنطقي في هذه الأحوال أن يكون البحث عن صيغة للتفاهم بين المتقاربين أولى منها في

[36] - د. حسن الشافعي: المدخل إلى دراسة علم الكلام ص 67.

المتباعدين، أو هي مقدمة لها، بناء على قاعدة أن الأقربين أولى بالمعروف، وأن أداء حق القريب مقدَّم على البعيد إن تزاحما.

وحين نطبق هذه المفاهيم على الأمة الإسلامية، سنجدها مشكَّلة من بلدان وشعوب وأعراق ومذاهب عقدية وفقهية، مع شركاء في الأوطان من أديان وملل أخرى، ويعنينا هنا الإشارة إلى المكوِّن الإسلامي المذهبي الكلامي، لا الفقهي، وفيه نجد أغلبية سنية تنتشر في طول العالم الإسلامي وعرضه، تليها كتلة شيعية جعفرية في إيران والعراق وأذربيجان وباكستان وأفغانستان، ثم أقلية إباضية في عمان، وزيدية في اليمن، ومثلهما بقايا من الخوارج في بلاد المغرب العربي.

والمكوِّن السني – الذي يمثل أغلبية الجسد الإسلامي الممتد بين المحيطينِ – به بعض التنوع كما رأينا في المبحث السابق، إلا أن التداخل حاصل بين أجزائه بحيث نرى أغلب البلاد الإسلامية يتجاور فيها الأشاعرة أو الماتريدية مع السلفية مهما تكن اتجاهات السلطة فيها. والحق أن البحث عما يقرب بين مكونات الطيف السني لم يُمْسِ من النوافل التي يأتيها الناس أو يدعونها متى شاءوا، بل هو شرط ضروري لحماية كيان العالم الإسلامي كله من الاضمحلال، وثقافته من الذوبان، ومتى تعافى الجسد السني لحقت به بقية الأمة.

وقد كان لشيخنا الدكتور حسن الشافعي جهوده العلمية والعملية في تحقيق التقريب داخل الإطار السني، وهو ما يحاول هذا المبحث رصده.

وأحب أن أشير – قبل أن أدلف إلى هذه النقطة – إلى أن أحد أعلام الدعوة والفكر الإسلامي المعاصر، وهو الشيخ محمد الغزالي رحمه الله الذي يقدره الدكتور حسن الشافعي تقديرا خاصا، كان يدعو المسيحيين في العالم إلى وضع يدهم في يد المسلمين والتعاون معهم في محاربة الإلحاد والانحلال والانحراف الأخلاقي في العالم، بدلا من أن يطاردوا الإسلام في كل مكان[37]، ومن هنا بدا حرص الأقلام المجددة في العالم الإسلامي على تحقيق الوئام الاجتماعي في بلادها كبيرا على المستويات المختلفة.

على كل حال، ستأتي معالجة موضوع هذا المبحث – الذي يمثل صلب الموضوع – في النقاط التالية:

---

[37] - اقرأ لصاحب هذه السطور: العلاقة بالآخر.. من المضمون العقدي إلى المكون الاجتماعي تطبيقات على فكر الشيخ محمد الغزالي وموقفه من المسيحية والمسيحيين، الطبعة الأولى، دار المقاصد - القاهرة 1436هـ/ 2015م.

١. الإطار النظري للتقارب.
٢. تقارب خارج الإطار السني.
٣. قراءة الآخر.
٤. الاهتمام بالجانب التاريخي الإيجابي.
٥. الاهتمام بالقواعد المنهجية.
٦. أصدقاء من كل طيف.

أولا: الإطار النظري للتقارب

تقوم مساعي التقريب عند الشيخ الشافعي في عمومها ضمن إطار نظري يجعلها مسوَّغة تماما، وأول معالم هذا الإطار هو أن «التعددية – كما يقول – سمة كونية، وواقع كونيّ يقره القرآن الكريم في غير موضع: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، وفي سورة الزخرف لاحظ تكرر الأسلوب نفسه: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ...﴾»[38].

ولما كان التعدد هكذا سمة كونية والتنوع ناموسا إلهيا في الحياة، وجب التعامل معه باعتباره حقيقة ثابتة يمكن أن تتيح مساحات تعاون واسعة بين البشر تحت قانون ابتلاء الله الناس بعضهم ببعض، وليس من المعقول ولا الممكن السعي إلى إزالة هذا التنوع، كما أن إفساد ذات البين في إطار هذا التعدد تؤدي – من جهة أخرى – إلى خسارة عامة.

والحقيقة أن شعور الشيخ المتعاطف مع الإنسان وقضاياه عامة نابع أصلا من معاناة شخصية وتجربة عاشها بنفسه تحت سقف الظلم والاستبداد، فيقول: «قاسيت الكثير من المشاق والآلام والحرمان من الحرية والتعذيب والإهانة، فازداد حبي للحرية والكرامة للجميع، وأعمل على ألا يتعرض مصري آخر لما تعرضت له، ولو تخاذلت في ذلك لما رضيت عن نفسي»[39]. وحين أصابه الهربس عانى من آلام شديدة عبر عنها كما سمعته بقوله: «لا أتمنى أن تصيب أحدا؛ مسلما أو غير مسلم»!

والحقيقة أن رحابة الإسلام ينبغي أن تتبعها رحابة الرؤية التي يحملها المسلم، وكذلك رحابةُ الشعور الإيجابي تجاه البشرية، عدا أهل البغي والعدوان، ثم يتعاون المسلم مع غيره في

[38] - شهادة أزهري معاصر على مسار التحول الديمقراطي في مصر ص 45.
[39] - حياتي في حكاياتي ص 259.

مساحة البر التي يستطيعها، فالأصل أن الآخر موافق لا مخالف، وصديق لا عدو، ولكن هذا كله يحتاج إلى جهد للتعارف والتفاهم؛ للتأكيد على الشراكة الإنسانية في هذا الكوكب، وعلى وحدة الأصل البشري، واكتشاف المساحات الحقيقية للتعاون بعيدا عن كل أنواع الدعاية والختل والتوظيف السياسي.

ومن الأبعاد النظرية لقضية التعدد عند الشيخ: أنه يرى أن التعددية تترتب عليها حقوق ينبغي صونها، وواجبات ينبغي القيام بها، فقد ذكر مثلا أن من محاسن الدستور المصري الذي شارك في إعداده عقب ثورة 25 يناير ما أقره من «أن للمصريين الكتابيين من المسيحيين أو اليهود أن يتحاكموا إلى مبادئ شرائعهم في شئونهم الدينية وأحوالهم الشخصية واختيار قيادتهم الروحية»[40].

وهذه واقعية تامة تراعي أن خطاب التقارب ومساعي الوفاق في أي مجتمع ينبغي ألا تتكئ على مجرد إثارة العواطف وإلهاب المشاعر، بل يجب أن تُترجم في صورة مواثيق مؤكدة وقوانين عادلة لا تجور على حق قبيل أو آخر من الناس؛ أكثرية أو أقلية.

وأخيرا يؤكد الشيخ على وظيفة العالم في تحقيق التقارب، فيثني على شيخ من شيوخه، وهو الدكتور عبد الحليم محمود أنه كان على صلة حسنة بالتيارات والشخصيات الإسلامية الأخرى، فقال: «كان يوزع جانبا كبيرا من راتبه على الجمعيات الإسلامية صوفية وغير صوفية، وكان على صلة طيبة بالعاملين في الحقل الإسلامي داخل الأزهر وخارجه، بل داخل مصر وخارجها... وأعرف صلته الأخوية بالشيخ محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية الراحل ومؤسس مجلة المسلم القاهرية، وكذا برجال الجمعية الشرعية ومجلة الاعتصام»[41]. ولعل هذا النهج قد أثر في نظرة الشافعي إلى الطيف السني، قانعا بوجوب التواصل مع مختلف مكوناته.

ثانيا: تقارب خارج الإطار السني:

سبقت الإشارة إلى أن تعاطف الشيخ مع قضايا الإنسان لم يكن مقصورا على المسلمين، وأنه يرى الحق لكل مواطن في وطنه، مهما كان دينه ومذهبه وتكن ملته ومسلكه. وقد أكد في مواضع أخرى على التقارب بين السنة والشيعة، وهي مسألة يظن الناس أن هذا ليس أوانها؛ خاصة مع الجراح الغائرة التي صنعتها السياسة المذهبية المتعصبة في العالم الإسلامي من تدمير

[40] - شهادة أزهري معاصر على مسار التحول الديمقراطي في مصر ص 46.
[41] - حياتي في حكاياتي ص 97.

للأوطان، وقتل لعشرات الآلاف، وتشريد للملايين، وتمزيق للمجتمعات السنية التي كانت متحدة طوال تاريخها.

والحق أن هذا أنسب وقت للتقارب بين السنة والشيعة؛ ذلك لأن السياسة ومجالات التوظيف الأعوج هي التي أفسدت المحاولات السابقة للتقارب، وآن لأهل العلم المنصفين من الطرفين أن يلتقوا ويتحاوروا؛ ليس للبحث عن نقاط التقاء فكري فقط، ولكن لإطفاء الحريق المشتعل في جسد العالم الإسلامي؛ تحذيرا للساسة من اللعبة الخطرة التي يمارسونها، وإيقاظا للشعوب النائمة تحت مطارق التخدير المذهبي والطائفي.

لقد تنادى العلماء والفلاسفة الغربيون – مثل أينشتاين ورسّل – في خمسينيات القرن الماضي؛ للسعي إلى إنقاذ البشرية من الدمار النووي الذي يتهددها، وبذلوا في هذا السبيل جهودا مضنية، مع أن بعضهم كان قد أسهم باكتشافاته في تفتيت الذرة وصناعة السلاح النووي. وأحسب أن القادة المجتمعيين وأهل العلم من السنة والشيعة قادرون على الالتقاء بعيدا عن المظلات السياسية التي قد تسيء إليهم، من أجل تحقيق تقارب وتعاون مشترك لأداء واجبهم في حماية حاضر المسلمين ومستقبلهم.

وهنا لابد من التأكيد على أن المشكلة ليست في الانتماء المذهبي، كما أن المشكلة في مصر لم تكن في الانتماء الديني، ولكن في سيطرة التوظيف السالب للاختلاف؛ أعني أن يصبح الانتماء إلى مذهب أو دين مختلف مشجعا على إلحاق الضرر بالآخرين، فتتحول الفكرة الخاصة – بعد أن تُكسى بكسوة التعصب الأعمى – إلى سكين وبندقية ومدفع ضد الآخر، ويتحول التاريخ إلى دفتر حساب قاس للآخر، مع أنه ما شهد ولا رضي!

المهم أن الشيخ الشافعي دعا في كتابه «قول في التجديد» إلى توثيق التواصل العلمي بين علماء المذاهب الإسلامية وتجنب الصراع الطائفي[42]، ونلاحظ هنا تركيزه على التواصل العلمي، وهو ما ينبغي أن ينعكس في صورة تأثير اجتماعي عميق.

وفي تقييمه للجهود المبذولة في التقارب بين المذاهب الإسلامية، قال: «أعتقد أن جهود علماء السنة للتقريب مجرد التقريب (التقارب) مع الفكر الاثنا عشري والإباضي والزيدي ليست كافية، وينبغي تزكيتها وتنظيمها»[43]، وقد يكون هذا التقصير من آثار السياسات

[42] - قول في التجديد ص 217، الطبعة الأولى، دار القدس العربي - القاهرة 1437هـ/ 2016م.

[43] - قول في التجديد ص 219.

المفسدة؛ تلك التي جعلت كثيرا من العلماء يزورّون من وقع القنا بلبانهم ولبان شعوبهم، حتى بدا لهم أن التقريب لم يكن سوى حيلة تخدم السياسة المذهبية أكثر منها مبدأ يحترمه المقاربون.

أقول: قد يكون هذا من آثار السياسة المفسدة، إلا أن الاشتغال على التنوع في العالم الإسلامي-تنوع المذاهب الفقهية والعقدية والدينية والأعراق واللغات-وتوجيهه إلى ما يحقق الوئام الاجتماعي ومصلحة المجموع أمر منسي، وكأننا تذكرناه بين السنة والشيعة الجعفرية فقط لأن لهؤلاء الأخيرين دولة، في حين نسيناه مع الإباضية والزيدية وبين أصحاب المذاهب الفقهية السنية.

وربما تبدو الدعوة إلى التقارب بين أصحاب المذاهب السنية غريبة، ولكن لابد من العلم بأن التعصب بينها قائم، ولو حاول أحد أن يشعل الخلاف من خلاله لوجد الفرصة، وقد كنا قديما لا نظن أن يخرج من الزيدية من يحارب أهل السنة، حتى حدث اختطاف فئات منهم تعرضت للظلم والحيف في دولة الاستبداد العربية، ووُظفوا مذهبيا في تحقيق طموحات سياسية في اليمن على حساب شعبها ودولته.

وما عنيته هنا، هو أن قضية التنوع في بلادنا ينبغي الاشتغال عليها بكل أبعادها؛ حتى تصبح سببا للقوة لا للضعف، وبابا للوئام لا للتنازع والخصام، وقد رأيت في باكستان مثالا حيا على التنوع الذي يمكن توجيهه ليكون بابا لخير عميم، ويمكن كذلك أن تُفتَح به أبواب جهنم على الناس.

مهما يكن، فإن الشيخ يشجع بقوة كل الجهود التي تُبذَل لأجل التقريب بين أصحاب المذاهب الإسلامية مهما تكن، فيقول عن اهتمام بعض علماء الشيعة بطباعة مفردات الراغب الأصفهاني مع ملاحظات العاملي: «إن اهتمام علماء الشيعة بتراث علماء السنة؛ وخاصة المتعلق بالقرآن الكريم، أمر طيب وحسن، وهو يلتقي مع فكرة التواصل العلمي ماضيا وحاضرا، فالتراث الإسلامي واحد وإن تعددت مذاهبه، والقطيعة العلمية لا تفيد أي فريق من الفرقاء»[44].

ويبدو من مجمل ما سبق أن الشيخ يسعى إلى تشجيع رجال العلم من أصحاب المذاهب الإسلامية على أن يتحاوروا بعضهم مع بعض في أجواء صحية بعيدا عن أي مؤثرات غير علمية، وبقدر ما يكون هذا الحوار متمركزا في وعي من يخوضه، سيتحول إلى قوة وعوامل تغيير اجتماعي تشارك في حل كثير من عقد الحياة في العالم الإسلامي.

[44] - قول في التجديد ص 220.

ثالثا: قراءة الآخر:

قراءة الآخر بقصد الرد عليه ابتداء، حتى قبل معرفة حقيقة آرائه، هو نوع من التماس العيب والحرص على أن يخطئ ويزل، مما يقلل فرص التلاقي معه في الرأي، والتعاون معه على الخير، بل يضيّق هذا الأسلوب على العقل مسالك الفهم ومجالي النظر، ويرهنه لوجهة نظر سلبية ابتداء، وهذا يدل – فيما يدل عليه – على عيب نفسي لدى من يطالع الآخر بهذه الحسابات؛ إذن فلماذا نقرأ الآخر؟

أهم أهداف قراءة الآخر هو فهمه، ثم الانتفاع بما يمكن الانتفاع به من مواقفه وآرائه، وأما الرد عليه والتحذير من مخالفاته وكشف عواره، فهي من عوارض القراءة. كما أن الردود لا تشمل كل رأي مخالف، بل تقف عند حدود ما اشتهر وخيف ضرره مما يخالف الثابت ثبوتا صريحا دون ما يخضع للاجتهاد ويحتمل تعدد الوجوه، ويجب أن يلزم الرادّ – مع هذا – حدود الآداب المرعية في محاورة الآخر اقتداء بما كان عليه الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع كفار قومهم.

وعند النظر في المواقف الفكرية للدكتور حسن الشافعي، سنجد أنه كان حريصا جدا منذ وقت مبكر على أن يقرأ رأي الموافق ورأي المخالف؛ حتى تكتمل الصورة لديه، وينكشف له من أبعاد الموضوعات التي يتناولها ما لا ينكشف منها إلا بالقراءة الشاملة. ويمكنك أن تلاحظ هذا من جمعه بين الاطلاع على الفكر الإسلامي والفكر الغربي، وقراءته للتراث السني الأصولي وتراث الفرق الأخرى، والسني الأشعري والسني غير الأشعري، ونظره في العلوم العقلية والعلوم الشرعية، واهتمامه بأصول الدين وأصول الفقه.

وتبدو علائم هذا واضحة في دراساته، ففي كتابه الأول «الآمدي وآراؤه الكلامية» نجده يعرض آراء المتكلم الأشعري الكبير الكلامية، وأحيانا يشفعها بآراء ابن حزم الظاهري، وغالبا ما يردفها بآراء ابن تيمية، حتى إنك يمكن أن تستخرج من كتابه المذكور بحثا موازيا عن ابن تيمية.

وقد ظل هذا الجمع بين المصادر السنية المتنوعة ديدنه، بل ربما أضاف مصادر أخرى من مذاهب إسلامية غير سنية، ففي مشروعه المهم حول علم «القواعد الاعتقادية» ساق كثيرا من نماذج هذه القواعد من كتب الشيخين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحنبلي السلفي ومحمد بن إبراهيم الوزير اليمني الزيدي[45].

[45] - د. حسن الشافعي: مقدمة تأسيسية لعلم القواعد الاعتقادية ص 45 وما بعدها، الطبعة الأولى،

وليست الإشكالية في مجرد توظيف هذه النصوص، ولكن في توظيفها إيجابيا، ففي صدد اقتراح بناء علم للقواعد الاعتقادية جاء بعض القواعد منقولا عن الشيخ ابن تيمية رحمه الله، فليس التوظيف هنا هامشيا، ولا للرد والتفنيد، بل قام جزء من بنيان العلم المقترح نفسه على كلام العالم السلفي، ومن القواعد التي نقلها الشيخ عنه في بحثه المذكور قوله: «من اجتهد في طلب الحق، فعجز عنه فلا يعاقب، وخطؤه الذي غفل فيه عن حقيقة الأمر مغفور له»، وقوله: «ما خرج عن طاقة العبد من المطلوبات ساقط الوجوب، وما اضطر إليه العبد من الممنوعات غير محظور بقدر الضرورة»، وقوله: «من طلب علمًا بلا إرادة، أو إرادة بلا علم فهو ضال، ومن طلب هذين بدون اتباع الرسـول فيهما فهو ضال»[46]. وهذه كلها مستخلصة من نصوص الوحي أو روحه العامة، بل قد نعثر على بعضها في مصادر إسلامية أخرى سابقة على ابن تيمية.

وهناك وجه آخر يؤكد هذه الإيجابية تجاه آراء المخالف السني، وهو توظيف نصوصه وآرائه في الرد على بعض آراء الموافق، كاستعانته مثلا بنصوص لابن تيمية في الرد على بعض آراء الآمدي–وسيأتي مثال على هذا، مع إجلاله التام للمفكر الأشعري الكبير، وهذا السلوك يؤكد حياد الشيخ وبحثه عن الصواب واحترامه التام للموافق والمخالف، وكلها مشاعر ومواقف إيجابية تضيق الفجوة، وتوسع من مساحات الالتقاء والتفاعل الاجتماعي والفكري بصورة إيجابية.

إن الشيخ على العموم كما يعرض آراء المخالف على حاسته النقدية، فإنه يفعل ذلك مع الموافق أيضًا، وهذه عدالة علمية تؤكد أن صاحبها يبحث عن الحق والحق وحده، فيقول مثلا عن الإمام أبي الحسن الآمدي الأشعري وموقفه من الدليل العقلي وأخذه بفكرة الدور: «إن العقل قد طغى على النقل لدى هذا المفكر الأشعري إلى حد تجاوز فيه ما ذهب إليه أسلافه ممن تأثروا بهذه القاعدة الاعتزالية، بل لعله تجاوز أيضًا موقف هؤلاء المعتزلة أنفسهم»[47]، ويستعين بابن تيمية في نقد موقف الآمدي ومن وافقه بقوله: «إن التوازن الدقيق الذي كان الأشاعرة يفخرون بإقامته بين العقل والنقل قد أصابه الاهتزاز، ورجحت كفة العقل في المسائل الكلامية، وخاصة لدى الآمدي إلى حد كبير... ولذا نجد ابن تيمية يقول في مناقشة

مكتبة ذخائر الوراقين - القاهرة 1437هـ/ 2016م.

[46] - نحو علم للقواعد الاعتقادية الشرعية، مجلة المسلم المعاصر، المجلد 27، العدد 107، سنة 2002. راجع موقع المجلة على الإنترنت.

[47] - حسن الشافعي: الآمدي وآرؤاه الكلامية ص 131.

أشعري متأخر: فأي اتباع للسمع والشرع إذا لم يثبت شيء من صفات الله بالشرع، بل وجوده كعدمه فيما أثبتوه أو نفوه من صفات؟! فأئمتهم كانوا يثبتون الصفات بالسمع وبالعقل، أو بالسمع ويجعلون العقل مؤكدا في الفهم»[48].

وقد يوجه الشيخ نقده الهادئ إلى المخالف السني كذلك؛ حتى لا نحسب أنه يكسب ودهم بصمته، فقد ذكر مثلا بعض المحاولات التأليفية المهمة في مجال القواعد الاعتقادية، وأثنى على جهود مؤلفيها، لكنه عقّب على مؤلِّفَي اثنين منها قائلا: «وإن كان الملاحظ على كل منهما التشدد المذهبي، والتعنت مع المخالفين، والإلحاح على مسائل الخلاف بين الفرق الكلامية»[49].

وأريد أن أؤكد في نهاية هذا العنصر أن قراءة الآخر السني – وغيره كذلك – ومعرفته مباشرة بعقلية متحررة من التعصب وبروح إيجابية، تهدم كثيرا من الأصنام والأوهام التي تبنيها عقولنا عن الآخر في ظل المشاعر السلبية والعقلية المتحاملة، وهذا الهدم هو الذي يفتح طرق التلاقي والتفاهم، ويقطع الطريق على التدابر والتقاطع الذي حذر منه الشارع وحظره: عن محمد بن شهاب الزهري قال: حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، وكونوا عبادَ الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[50].

رابعا: الاهتمام بالجانب التاريخي الإيجابي

إبراز الجانب الإيجابي من العلاقات التاريخية الفكرية والاجتماعية بين أهل السنة جانب آخر يبرز في فكر الشيخ حسن الشافعي، ويدعم التقارب ضمن النطاق السني؛ إذ يحول التاريخ إلى عامل داعم لهذه العلاقات ومقوٍّ لأواصرها، ويفسر مواقف الخلاف القديمة تفسيرا يحبسها في ظرفها التاريخي الذي وقعت فيه، وأن هذا لا ينبغي أن يتكرر في واقعنا تحت وطأة الخضوع السلبي للتاريخ.

ومن الجوانب الإيجابية التي رصدها الشيخ في تاريخ العلاقات السنية، قوله باحتمال أن يكون ابن تيمية ومدرسته في نزوعهم إلى عدم التقيد بمذهب في الفتوى قد تأثروا بنزعات مشابهة ظهرت عند بعض علماء الأشاعرة من قبل، مثل: العز بن عبد السلام، وأبي شامة

[48] - حسن الشافعي: الآمدي وآرؤاه الكلامية ص 131، وانظر ص 139.

[49] - د. حسن الشافعي: مقدمة تأسيسية لعلم القواعد الاعتقادية ص 39.

[50] - رواه البخاري في الجامع، حديث رقم 6065، كتاب الأدب، باب ما ينهَى عن التحاسد والتدابر وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، 8/ 19، دارى طوق النجاة (نسخة مصورة عن طبعة بولاق - القاهرة 1312هـ).

المقدسي[51]. وثمة دراسات أخرى رصدت تأثر هذه المدرسة السلفية في مجال الاجتهاد الفقهي بالتوجه المقاصدي عند الإمام عز الدين بن عبد السلام، وأنها استفادت منه أكثر مما استفاد فقهاء الشافعية أنفسهم.

ولا شك أن مثل هذا التأثر–الذي يحفظ لكلٍّ قدره ومنزلته–مع كونه أمرا معتادا في مجال الفكر والعلم، يدعم فكرة التواصل الإيجابي، ويضفي على الجهود العلمية لأطرافه متانة وقوة.

ولعل تأثر الشيخ نفسه منذ شبابه بابن تيمية يمثل حالة مشابهة للحالة المذكورة آنفا، حتى إننا يمكن أن نعده أشعريا سلفيا، وقد أثنى د. محمد عمارة على صديقه الدكتور حسن الشافعي في إحدى المناسبات قائلا: إنه «جمع بين الأزهر ودار العلوم، وجمع بين السلفية والتجديد، وجمع قلب الصوفي وعقل الفيلسوف، وجمع بين التحقيق والتأليف، وجمع بين الإبداع الأكاديمي والعمل الدعوي، وجمع بين صناعة الفكر وتربية الشباب، وعشق العربية وأبدع في الإنجليزية تأليفًا وترجمة، وجمع بين صلابة أهل الصعيد ودماثة الحضر وأبناء الوجه البحري، وجمع بين الوطنية والعروبة والإسلامية والإنسانية، وجمع بين الحب لله والحب لخلق الله»[52].

وكذلك أبرز الشيخ سير الشخصيات التاريخية والعلماء الذين اجتمع فيهم السمت الأشعري والسلفي معا، ومن ذلك قوله عن أعلام التصوف الكبار الذين ظهروا في عصر الآمدي؛ مثل: الشاذلي، والجيلاني، والقنائي، واليونيني وغيرهم: «تقترب أفكارهم من المذهب الأشعري مع ميل إلى السلفية»[53]. ولو أضفنا إلى هذا ميل بعض الأشاعرة في قضايا الاعتقاد إلى موقف أقرب للموقف الأثري في بعض القضايا – كما سبقت الإشارة – لكان ذلك قوة على قوة في جهود التقارب العلمي في النطاق السني.

كما أن الشيخ أبرز العلاقة بين ملك دمشق المعظم عيسى الأيوبي العالم الحنفي السلفي وبين سيف الدين الآمدي العالم الأصولي المنطقي الشافعي الأشعري، فإن الأول قد دعا الآمدي ليقدم عليه في دمشق، عارفا بقدره وعلمه، ولكنه كان لا يميل إليه بقلبه بسبب المخالفة

51 - حسن الشافعي: الآمدي وآرؤاه الكلامية ص 23.

52 - نقلتها عن الصديق الدكتور وصفي عاشور دون أن نعرف مصدرها.

53 - الشافعي: الآمدي وآرؤاه الكلامية ص 24.

التي بينهما؛ خاصة ما تعلق باشتغال الآمدي بكتب الفلسفة، ومع هذا أحسن الأمير استقباله، وولاه التدريس، وأهدى إليه الآمدي من جانبه كتابه «الإحكام في أصول الأحكام»[54].

كذلك ينقل الشيخ من النصوص ما يقرب وجهات النظر بين الأطياف السنية، فيذكر مثلا قول ابن تيمية: «من الحكايات المشهورة التي بلغتنا أن الشيخ أبا عمرو ابن الصلاح أمر بانتزاع مدرسة معروفة من أبي الحسن الآمدي، وقال: أخذها منه أفضل من أخذ عكا، مع أن الآمدي لم يكن في وقته أكثر تبحرا في العلوم الكلامية والفلسفية منه، وكان من أحسنهم إسلاما وأمثلهم اعتقادا»، ووصف العبارة الأخيرة بأن ابن تيمية قالها: «معقبا على ذلك بتقديره المنصف للآمدي»، وعلق بعدها في سياق آخر قائلا: «وقد رأينا شهادة ابن تيمية شيخ المدرسة السلفية للآمدي وإنصافه له»[55].

خامسا: الاهتمام بالقواعد المنهجية

وهذا بُعد آخر بارز في فكر الدكتور حسن الشافعي يساعد – في حال توظيفه جيدا – على تحقيق التقارب بين المجموعات السنية، بل بين الفرق الإسلامية في عمومها؛ إذ إن إبراز القواعد المنهجية ودعمها من نصوص الوحي من شأنه أن يمثل أساس تلاق عند الاتفاق وقاعدة تحاكم عند الاختلاف.

وقد سبقت الإشارة إلى كتابه المهم «مقدمة تأسيسية لعلم القواعد الاعتقادية»، ولو أخذنا نموذجا منه لعلمنا كيف يمكن أن تساعد هذه الجهود على جمع الكلمة، وتقريب وجهات النظر، فمثلا القاعدة التي سبق ذكرها: «من اجتهد في طلب الحق، فعجز عنه فلا يعاقب، وخطؤه الذي غفل فيه عن حقيقة الأمر مغفور له»، لا يختلف عليها سُنّيان؛ خاصة حين نتكلم عن الاجتهاد العلمي الذي يأتي ممن هو أهل له، وارد عليه الخطأ والصواب، وهو في كل حال مثاب.

ومما يشبه القواعد العلمية العامة قول الشيخ عن السلف الصالح: «قد يُظَن بهم البعد عن استخدام العقل في مسائل العقيدة، والحق أنهم يعتمدون عليه في اتخاذ المعجزة دليلا على الرسالة وفي استنباط ما يحتويه القرآن والسنة من الأدلة العقلية، وقد روى السيوطي قول السمعاني في كتاب الانتصار لأهل الحديث: «لا ننكر النظر قدر ما ورد به الكتاب والسنة؛ لينال المؤمن بذلك زيادة اليقين وثلج الصدر وسكون القلب»، ويقول ابن الجوزي الحنبلي:

[54] - حسن الشافعي: الآمدي وآرؤاه الكلامية ص -41 42.

[55] - حسن الشافعي: الآمدي وآرؤاه الكلامية ص -45 46.

«فإن أعظم النعم على الإنسان العقل؛ لأنه الآلة في معرفة الإله والسبب الذي يُتوصَّل به إلى تصديق الرسل»، وقد مر بنا إنكار ابن تيمية على أدعياء السلفية الذين يحتجون بالقرآن من جهة إخباره بالعقائد لا من جهة إثباته لها بالأدلة العقلية... وهكذا يتبين لنا أن الأخذ بمناهج العقل أمر تلتقي عليه المدارس الفكرية الإسلامية جميعا، ولم يكد يخرج على ذلك سوى الحشوية»[56].

ولعل من يطالع هذا يكف عن إنكار الوظيفة التي يقوم بها العقل في فهم العقيدة وإثباتها. إن العقل لا ينشئ عقيدة، لكنه قادر على أن يزيف العقائد التي تتناقض مع بديهياته؛ مثل القول بالتثليث، وقادر كذلك على التماس وجوه الدلالة المثبتة لاعتقاد ما حسب هذا الاعتقاد.

وفي المقابل يقول الشيخ عن الأدلة القرآنية لإثبات وجود الله تعالى: «إن المتكلمين من أشاعرة ومعتزلة وماتريدية يشاركون غيرهم من علماء المسلمين في الاعتماد على هذه الأدلة القرآنية، وإن كانوا – والحق يقال – لم يتوفروا على دراستها وتفصيلها، ربما لغلبة فكرة الدور على أكثرهم، أو لغير ذلك من الأسباب، وانصرفوا إلى دليلي الجوهر والعرض والممكن والواجب، وهما دون مستوى هذه الأدلة القرآنية»[57]. فاعتماد الدليل النقلي في العقيدة قاعدة ثابتة في العقل المسلم، ولا يمكن التماس العقائد من خارجه، إلا أن التوازن في قضية العقل والنقل أمر مطلوب على عمومه.

سادسا: أصدقاء من كل طيف

وهذا جانب اجتماعي مهم في حياة الدكتور حسن الشافعي شارك فيه شيخه الدكتور عبد الحليم محمود الذي «كان – كما سبق – على صلة طيبة بالعاملين في الحقل الإسلامي داخل الأزهر وخارجه، بل داخل مصر وخارجها»، وقد سمعت أن شيخ الأزهر الراحل رحمه الله كان صديقا لخطيب مسجد العزيز بالله الشهير في منطقة الزيتون بالقاهرة الداعية السلفي محمد جميل غازي رحمه الله، وأن جميل غازي كان يشن حملات شديدة على التصوف، ولم يمنع هذا الشيخ عبد الحليم من موادته وتقديم مساعدات مالية لمسجده الذي كان يقوم ببعض أعمال البر والمعونة للفقراء.

[56] - حسن الشافعي: الآمدي وآرؤاه الكلامية ص 118.

[57] - حسن الشافعي: الآمدي وآرؤاه الكلامية ص 179.

والشيخ الشافعي له صلات حسنة بكثير من الدعاة والرموز السلفية في مصر وخارجها، ففي كلية دار العلوم يقترب منه أبناء التيار السلفي من الشباب والشيوخ مثلما يقترب غيرهم، وفي الأزهر كذلك له علاقات حسنة بالتيارات الفكرية المختلفة، كما أن رموز السلفية المصرية والعربية في بلاد الخليج وغيرها لهم به معرفة جيدة وبينهم وبينه احترام متبادل.

خاتمة

وبعد، فقد قدمت هذه الورقة ما يشبه النموذج التطبيقي لجهود العالم الأشعري المعاصر في التقريب بين وجهات النظر السنية، فتناولت التكوين العلمي والفكري للنموذج المختار (د. حسن الشافعي)، ثم جهوده في خدمة علم الكلام والمذهب الأشعري، وأعقبها تحديد المقصود بمصطلح أهل السنة، وأخيرا جاء الحديث عن فكرة التقريب بين أهل السنة وتطبيقاتها عند الشيخ.

ولعل أهم نتائج هذه الدراسة أن الدكتور الشافعي امتاز بالجمع الدقيق والإيجابي بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، وأثر هذا على آرائه ومواقفه العلمية والاجتماعية. أن الشافعي ينتمي في اعتدال إلى الأشاعرة، وله مؤلفات عديدة في خدمة علم الكلام عموما وعلم الكلام الأشعري خاصة. يضم مصطلح أهل السنة في رأيه اتجاها كلاميا يشمل الأشاعرة والماتريدية، واتجاها أثريا يشمل السلفية والظاهرية. الرؤية العلمية التي يقدمها الدكتور حسن الشافعي تدعم روح الوئام في داخل الطيف السني، وتمتاز بالتسامح عموما مع المخالف في الرأي. الإطار النظري للتقارب بين الناس يقوم عند الشافعي على كون التنوع في البشر طبيعيا، وأن التعددية تترتب عليها حقوق ينبغي صونها، وواجبات ينبغي القيام بها. التقارب عند الشيخ يتسع حتى يتجاوز الإطار السني إلى غيره، ويعتمد على أن قراءة الآخر ضرورية لفهمه، وفهمه شرط في تحقيق التقارب معه. الاهتمام بالجانب التاريخي إيجابيا يساعد على التقارب، والاهتمام بالقواعد المنهجية يزيد فرص التقارب في داخل الطيف السني وخارجه كما يرى حسن الشافعي.

المصادر والمراجع

أحمد بن حجر الهيتمي: الفتاوى الحديثية ، دار المعرفة – بيروت، ب. ت

حسن الشافعي: الشيخ محمد الغزالي وموقفه من المسيحية والمسيحيين، الطبعة الأولى، دار المقاصد – القاهرة 1436هـ/ 2015م

حسن الشافعي: المدخل إلى دراسة علم الكلام، الطبعة الثانية، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية – كراتشي – باكستان 1422هـ/ 2001م

حسن الشافعي: حياتي في حكاياتي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي – تونس 1436هـ/ 2015م

حسن الشافعي: عند الثمانين بدأت شعري، الطبعة الأولى، مكتبة ذخائر الوراقين – القاهرة 1437هـ/ 2016م،

حسن الشافعي: في فكرنا الحديث والمعاصر، الطبعة الأولى، مكتبة ذخائر الوراقين – القاهرة 1437هـ/ 2016م.

حسن الشافعي: قراءة جديدة في إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري: نهاية إشكالية فكرية ص 178، بحث ضمن مؤتمر: أبو الحسن الأشعري (صدرت أعماله في 4 مجلدات)، والبحث المذكور في المجلد الثاني، دار القدس العربي.

حسن الشافعي: قول في التجديد، وكتابه مقدمة تأسيسية لعلم القواعد الاعتقادية

حسن الشافعي: قيم الحضارة في الإسلام: دراسة من خلال السنة النبوية؛ الطبعة الأولى، دار المقاصد – القاهرة 1436هـ/ 2015م.

حسن الشافعي: مقدمة تأسيسية لعلم القواعد الاعتقادية ص 45 وما بعدها، الطبعة الأولى، مكتبة ذخائر الوراقين – القاهرة 1437هـ/ 2016م

حسن الشافعي: مقدمة ترجمة كتاب في تاريخ التشريع الإسلامي، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – بيروت 1412هـ/ 1992م

شهادة أزهري: معاصر على مسار التحول الديمقراطي في مصر، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي – تونس 2014م.

الغزالي: مقال في المنهج ، مكتبة ذخائر الوراقين – القاهرة 1437هـ/ 2016م.

محمد بن محمد بن محمود البابرتي: شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: عبد السلام شنار، الطبعة الأولى، دار البيروتي – بيروت 1430هـ/ 2009م.